

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور / مصطفى نعيم الياسري.

(التفكير)

تعريف التفكير :

ذكر دي بونو (De Bono) أن هنالك عدة تعريفات للتفكير صحيحة ولكن كلاً منها يتطرق إلى جانب محدد أو جزء معين من التفكير وإن كان ويرى أن التفكير هو التقصي المدروس للخبرة من اجل غرض ما⁽ⁱ⁾. والتفكير هو ذلك الشيء الذي يحدث في أثناء حل المشكلة وهو الذي يجعل للحياة معنى⁽ⁱⁱ⁾. والتفكير هو أعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها⁽ⁱⁱⁱ⁾. والتفكير عبارة عن عصف ذهني يمر به الفرد وفق مراحل معينة للوصول إلى نتيجة محددة. وهذا يعني أن التفكير يحتاج إلى نشاط ذهني نسبي يتباين من شخص إلى آخر وفق المعطيات الذهنية لدى كل فرد وجميعهم يبحثون دائماً عن حل اقتصادي أي نتائج، أفضل وكلفة أقل.

التفكير والإبداع :

من القواعد الأساس في مجال التفكير أن الإبداع نسبي وغير مرتبط بالذكاء فقد يكون الشخص ذكياً لكن ليس شرطاً أن يكون مبدعاً وهنا يجب الحذر من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقع فيه علماء النفس قديماً عندما أطلقوا كلمة عبقرية على الشخص ذي الذكاء المرتفع لأن من يحصلون على نسب عالية من الذكاء كان المتوقع منهم - وهم توقعوا من أنفسهم- أن يصبحوا أشخاصاً مشهورين وابتجوا أفكاراً تهمز العالم، وحين خاب ظنهم أدى بهم ذلك إلى حالة من الاضطراب النفسي أدت في بعض الحالات إلى نتائج وخيمة.

أيضاً حين الاستسلام إلى فكرة أن الشخص الذكي فقط هو المبدع فمعنى ذلك أنه قد قُضي على جميع صور الإبداع في أي مجتمع من المجتمعات كون الأشخاص ذوي الذكاء المرتفع لا يشكلون سوى قلة قليلة منه.

وللتفوق والإبداع عوامل متعددة منها ما يرتبط بشخصية المبدع ونعني بذلك العوامل الداخلية، ومنها العوامل الخارجية التي تؤثر على المبدع وإبداعه، ومن ذلك طبيعة المجتمع ونسبة الحرية فيه، الدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية في ذلك المجتمع في تنمية المبدعين والاهتمام بهم، وقبل المؤسسات الرسمية يأتي دور الأسرة كأول مؤسسة تربوية في بناء هذه السمة المهمة.^(iv)

إذاً فالإبداع مرحلة متقدمة من مراحل التفكير فإذا نُمِّت وطورت مهارة التفكير بشكل متزن وفاعل فإنه يمكن الوصول إلى مرحلة متقدمة قد تتطور إلى مرحلة الإبداع، وهؤلاء المبدعون يحتاجون كل رعاية واهتمام ليتحول ذلك السلوك الإبداعي إلى مرحلة إنتاجية تهم في بناء المجتمعات.

أساليب تنمية التفكير :

إن التفكير كما هي عضلات الإنسان تماماً؛ يحتاج إلى التمرين، وهو نوع مختلف من التمرين، فالممارسة والتأمل والبحث والتقصي هي أدوات تمرين التفكير وعملياته، والتفكير إن لم يحصل على القدر الكافي من التدريب والتمرين فإن الخلايا التفكيرية تضعف وتصبح غير فاعلة بما يحقق الحد الكافي من الرضا.

هذا يؤكد الرأي السائد عند المشتغلين بدراسة التفكير بأنه (التفكير) ليس شيئاً ثابتاً وجامداً بل يتميز بالتفاعل والتطور والديناميكية وبالتالي فهو يحتاج إلى عناية خاصة من أجل أن يتطور وينمو.

والاهتمام بالتفكير وتنميته يكون مثالياً حين يُهتَم به منذ مرحلة الطفولة، ومن الأشياء التي تساعد على تنمية التفكير لدى الطفل:

- بناء احترام الذات كدعوتها لتحمل المسؤولية واعطائه فرص الاختيار وتقدير اقتراحاته وتشجيعه على الاعتزاز بما هو عليه.
 - التواصل مع جميع الأطفال، المعلم الجيد هو من يتواصل مع جميع الطلاب ولا يقصر اهتمامه على عدد منهم.
 - الإصغاء باهتمام، فمن الوسائل الهامة في التعرف على مدى التعلم أن يسأل المعلم الطفل ثم يستمع إليه بعناية حتى لا يتولد لديهم شعور بالإهمال ثم الاحباط.
 - الصميمية، يجب ألا يبالي المعلم في الثناء والمدح دون مناسبة فاستخدامه المبالغ فيه لهذا الأسلوب يفقده أهميته وتأثيره المطلوب؟
 - الإيجابية، السلوك الإيجابي من المعلم يعني أن يقبل الطفل كما هو.
 - الوضوح، يجب أن تكون تعابير المعلم واضحة، وأن تكون دعوتها للتفكير واضحة وأن يتأكد أن ما يريد واضح لجميع الأطفال.
 - الرغبة في التعلم، على المعلم أن يظهر رغبته بالتعلم أمام الأطفال ويطلب منهم مشاركته هذه الرغبة.^(v) ومن الطرق التي تحسن التفكير بشكل إيجابي أن تطلق لنفسك العنان في التفكير والخيال، وكذلك صرف وقت خاص له (للتفكير)، والقدرة على النظر إلى كل مشكلة نظرة شمولية.^(vi)
- هذا يؤكد على ضرورة ممارسة حرية التفكير وتجاوز كل الحدود (عدا الشرعية منها) ولا بأس من ممارسة جميع طقوس التفكير، فهذا هو السبيل الأفضل لتنمية التفكير. فالتفكير كما ورد آنفاً مثل عضلات جسم الإنسان يحتاج إلى تدريب بأساليب وطرق متنوعة وإن لم يتحقق ذلك فسيقل مستوى الذكاء وبالتالي تنخفض الأصالة والمرونة والطلاقة لدى الفرد.

ومن العناصر المهمة لتنمية التفكير وتطوير المهارات الذهنية:

أ - مقارنة الأشياء والأفكار.

ب - التصنيف في فئات.

ج - طرح الأسئلة المناسبة والعميقة.

د - الوصول إلى خلاصات واستنتاجات.

هـ - الوصول إلى أفكار عامة.

و - عمل تنبؤات معقولة.^(vii)

فمن خلال تنمية هذه المهارات الذهنية والتدريب عليها يمكن ومن خلال أفكار بسيطة ومقارنات معينة تطوير المهارات الذهنية نحو الوصول إلى آراء وأفكار عميقة ومن ثم الوصول إلى درجة عالية من التفكير وهي القدرة على التنبؤ.

ما يمكن قوله والتأكيد عليه أنه وأياً كان الأسلوب أو الطريقة المتبعة ومهما كان الهدف فإن التفكير من العناصر الرئيسة التي تتكوّن منها طبيعة الإنسان المعقدة، حيث يحتاج التفكير إلى المتابعة والمثابرة والتخطيط والترتيب والتحفيز من أجل أن ينمو ويتطور ويصبح الإنسان إنساناً عاملاً مفكراً مبدعاً وهذا ممكن تحقيقه من خلال النقاط التالية:

- أن يتعرف كل شخص على ما لديه من إمكانيات فعلية ويستخدمها الاستخدام الأمثل.
- تقنين الجهد وفق الإمكانيات المتاحة وعدم تجاوز ذلك حتى لا يأتي بأثر عكسي.
- التفكير يبدأ عادة من خلال فكرة بسيطة ينطلق منها الفرد حتى يصل إلى أمور إبداعية.
- ضرورة التمييز بين الخيالات الإبداعية وأحلام اليقظة.
- خصص لنفسك وقتاً من أجل تمرين عقلك بقضايا ومسائل متنوعة.
- كن موضوعي التفكير وانظر للقضية من جميع جوانبها.
- طرح الأسئلة والتفكير الناقد من سبل الإبداع الجيدة .
- لدى كل إنسان جوانب إبداعية خاصة فاجتث عمّا لديك وعززه.
- عند التفكير ضع لنفسك خطة أو استراتيجية معينة ولا تكتف بالمحاولة والخطأ.
- التربية الغذائية الجيدة من شأنها أن تعين على التفكير.
- عندما تبدأ في اكتشاف زوايا في المشاكل لم يرها الآخرون فاعرف أن التفكير لديك ينمو بشكل جيد فدرب نفسك دائماً على الرؤية البعيدة.

أخطاء شائعة في فهم التفكير :

استيعاب عملية التفكير وفهم مهاراته أو فهم تطور آلية التفكير قد يشوبه شيء من الخلل لدى البعض، مما يؤدي إلى آثار سلبية على الاستراتيجية التفكيرية لدى الفرد فينتج عن ذلك أخطاء تحدث في ميكانيكية التفكير، وهذا قد يسبب قصور في مهارات التفاعل الاجتماعي والمعرفي والنفسي، ومن هذه الشوائب أو الأخطاء المحيطة بفهم عملية التفكير:

- التفكير ينمو مع تقدم العمر:

هذا التعميم غير صحيح على الإطلاق فعمليات التفكير تختلف عن سائر أعضاء جسم الإنسان فاليد تنمو والقدم تنمو والجذع ينمو ، ويسير النمو بشكل طبيعي من الممكن تسريع بعض جوانبه من خلال تمارين معينة . بالنسبة للتفكير يختلف تماماً ، فالخلايا تنمو إلى درجة معينة وإذا لم يتم تدريبها بشكل سليم فإنها قد تضمحل وتضمحل ، لذا فمن المهم جداً تقوية مهارات وعمليات التفكير من خلال تمارين التأمل والاستقصاء والحوار والعصف ...ألخ ، فخلايا الدماغ تقدر بعشر مليارات خلية، وكل خلية مرتبطة مع الأخرى بنقاط ارتباط بواقع أكثر من عشر آلاف نقطة ارتباط للخلية الواحدة هذه الخلايا بمثابة الضابط الإلكتروني لجسم الإنسان ومهاراته وحركته وتفكيره، فإذا لم يتم تدريبها وتقويتها بالشكل الملائم فإن أداؤها سيكون أقل من المطلوب .

- تطوير التفكير وأدوات التفكير :

لكي يتم الحصول على تفكير فاعل ومنطقي وسليم، فإن الجانب الأكبر من الاهتمام يجب أن يوجه لتطوير مهارات وعمليات التفكير، فمهارات التفكير وعملياته هي بمثابة الأدوات للتفكير، ومستوى كفاءة وفاعلية هذه الأدوات يحدد مستوى فاعلية التفكير.

إن تحليل البيانات وطرح الفروض والاستقصاء العميق وعمليات الفحص والتقويم للحقائق والقدرة على تحديد مصادر المعلومات السليمة كلها أدوات تساهم في تطوير عملية التفكير.

والتفكير ليس كتلة قائمة بذاتها بل هو عبارة عن مهارات مجزأة، وكل مهارة لها آليات واستراتيجيات وطرق تساهم في تطويرها، والتعامل مع التفكير ككتلة واحدة يؤدي إلى تصادمات غير منطقية تُفشَل عمليات تطوير التفكير، والإنسان يحتاج إلى تطوير مهارات معينة للتفكير أكثر من غيرها تبعاً لطبيعة عمله واحتياجاته اليومية، واستخدام مصطلح (تطوير التفكير) هي عبارة مجازية تستخدم بدلاً من جملة تطوير مهارات التفكير ولا بأس بذلك، فالذي يُطور مهارات التفكير وتبعاً لذلك يتطور التفكير وفقاً لما يتم التركيز عليه من مهارات.

- التفكير أحد المهارات الأساسية التي يجب تطويرها :

الصحيح أن التفكير هو الأساس لكل المهارات فجميع تصرفات الفرد هي نتيجة استراتيجياته التفكيرية، فالتفكير ليس مهارة تضم إلى مهارات مثل القراءة والكتابة والإلقاء والإتقان، بل هو الموجه والأساس لكل هذه المهارات فالمستوى القرائي للطلاب أو الكتابي أو قدرته على الإلقاء أو سعة الاستيعاب لديه كلها مرتبطة بمهارات التفكير، فهذه العمليات لا تتم إن لم يتم تلقي التوجيه السليم من العمليات التفكيرية لدى الفرد.

- تعليم وتطوير التفكير جامد وخالٍ من المشاعر:

المشاعر والأحاسيس والتفاعلات والاتجاهات والرغبات جزء أساس في تركيبة الإنسان، لذا ظهرت مدارس كالسلوكية والإنسانية تتعامل مع هذا الجانب المعقد، من هنا كان من الخطأ التعامل مع التفكير على أنه يحدث آلياً دون الاهتمام بجانب المشاعر لدى الفرد، فالطالب يتعلم أفضل وتنمو لديه القدرة والمهارات التفكيرية أفضل إذا كان ذلك مصحوباً بالتعزيز والاهتمام بمشاعره، والتفكير قد يتم التدريب عليه وتعليمه بجوٍ قاسٍ وجاف، ثم يحدث تعلم لكنه تعلم ناقص لا يجعل عملية الاحتفاظ تتم بشكل سليم. لذا كان من المهم الاهتمام بالتفكير على أنه عملية حيوية وليست عملية عقلية جافة، فالتفكير عملية وجدانية تحتاج إلى قوة دافعة تحركها نحو الهدف .

- فح الذكاء :

" إن المقدرة على نقد الذات ليس شيء يولد مع الإنسان، بل يجب أن ينمي من خلال الممارسة والتعليم، وجزء من هذا التعليم يجب أن يخصص لمساعدة الطلاب ليكونوا أكثر وعياً لبعض الأخطاء الشائعة التي تجعل تفكيرهم وتعلمهم أقل كفاءة" (viii)

هذا ما أسماه دي بونو (فخ الذكاء) فالمشكلة الكبرى ليس فيما يدرك الفرد أنه لا يستطيع القيام به أو يحتاج إلى تعلمه أو من الصعوبة إنجازه، بل فيما يعتقد أنه يستطيع القيام به أو يعرفه وبالتالي يتحول التفكير لديه إلى حالة (جامدة)، نتيجة تميزه لذاته واعتقاده أن الحقيقة هي فقط ما لديه.

كل فرد يحتاج إلى استراتيجية معينة تساعد على فهم أفضل لذاته ومستوى إدراكه وبالتالي القدرة على توليد أفكار تطوّر ما لديه، وهذه لا يأتي بالتقادم بل بالقدرة على الوضوح مع الذات والبحث عن ما هو جديد، بالتالي فمقولة أن الفرد هو الناقد الأول لذاته مقولة جيدة ومنطقية، ولكن هذا جزء من الحقيقة فهناك شيء تعرفه عن ذاتك ولا يعرفه الآخرون وهناك أشياء يعرفها الآخرون عنك وأنت تجهلها، إذاً فيمكن القول أن الفرد وهو الناقد الأول لذاته بشرط أن يصل إلى مرحلة متقدمة من الوعي والتجرد.

- كل حافظ ذكي وكل ذكي حافظ :

هذه من الأخطاء الشائعة للحفظ أحد مهارات الذكاء وليس المقياس الأوحده للذكاء، فللحفظ خلاياه الخاصة به وليس شرطاً أن يكون الشاهد الأوحده على مستوى الذكاء وفاعلية التفكير.

ومن الممكن أن يوجد شخص على مقدرة عالية من القدرة والفهم والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والاستجابة والتميز ولكن مهارة الحفظ لديه ضعيفة فهو لا يستطيع حفظ قصيدة أو معادلة إلا بمشقة بالغة.

والحفظ يصنّف ضمن المستويات المعرفية الدنيا، وبالتالي من يعاني صعوبة في الحفظ يجب أن لا يصاب بالقلق، وإذا ما عانى الطالب من مشقة في عملية الحفظ يجب أن لا ينعت بالغبّي وتقسو عليه المدرسة فربما لديه من المهارات التفكيرية والإبداعية ما لا يمتلكه شخص آخر من أقرانه، خصوصاً أن المقررات الدراسية في العالم العربي والنظام التعليمي وكذلك الأساليب التقليدية للاختبارات تساعد على إبراز الطالب الحافظ أكثر من الطالب المبدع .

-
- (i) إدوارد دي بونو، **تعليم التفكير**، مطابع الطليعة، الكويت، ١٩٨٩م.
 - (ii) إبراهيم الحارثي، **تعليم التفكير**، مطابع الحميضي، الرياض، ١٩٩٩م.
 - (iii) إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، القاهرة، ١٩٧٢م.
 - (iv) خليفة السويدي وقليل الخليلي، **المنهاج مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانتة**، دار العلم، دبي، ١٩٩٧م.
 - (v) إبراهيم الحارثي، **تعليم التفكير**، مطابع الحميضي، الرياض، ١٩٩٩م.
 - (vi) محمد الزهراني، **حاجتنا إلى التفكير الإبداعي**، مجلة البيان، لندن، ١٩٩٧م.
 - (vii) جودت سعادة، **مناهج الدراسات الاجتماعية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
 - (viii) مجدي حبيب، **تعليم التفكير في عصر المعلومات**، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣.